

Abstract:

This work aims to study the historical process of the emergence of terrorism and its transformation from a theoretical idea to a daily practice among individuals to take the nature of structuring and organization.

The historical method was relied on to highlight the most important historical aspects of the phenomenon of terrorism, in addition to the use of the analytical method, by deriving and analyzing the current social causes.

The existence of multiple motives for the growth and crystallization of violent thought was reached through the social problems experienced by the individual and which help in one way or another in crystallizing all forms of social violence.

Keywords: terrorism, causes, dangers, violence, resistance.

المخلص:

يهدف هذا العمل لدراسة السيرورة التاريخية لنشأة الإرهاب وتحوله من فكرة نظرية إلى ممارسة يومية بين الأفراد ليأخذ طابع الهيكلية والتنظيم.

تم الاستناد على المنهج التاريخي لإبراز أهم الجوانب التاريخية لظاهرة الإرهاب بالإضافة إلى الاستعانة بالمنهج التحليلي وذلك من خلال استنباط وتحليل الأسباب الاجتماعية الراهنة.

تم الوصول إلى وجود دوافع متعددة لنمو وتبلور الفكر العنيف وذلك من خلال المشاكل الاجتماعية التي يعيشها الفرد والتي تساعد بشكل أو بآخر في بلورة كل أشكال العنف الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: إرهاب، أسباب، مخاطر، عنف، مقاومة.

1- مقدمة

عايش الإنسان منذ بداية وجوده مخاطر عديدة، هددت استقراره وأمنه الاجتماعي. فلم يسلم من المخاطر الطبيعية في البداية ثم ما لبث أن طور من قدراته العقلية والجسدية، فاستطاع بذلك احتواءها، لكن بمرور الزمن بدأت هناك مخاطر أخرى فشل في احتوائها، رغم الخبرات الرهيبة التي امتلكها، التكنولوجيا التي أسسها، فأصبحت الشعوب المعاصرة تخاف على أمنها واستقرارها أكثر مما سبق. ذلك أن التهديدات القديمة كانت معروفة المصدر ومتوقعة الحدوث. فالمخاطر التي تحدث بالبشرية صارت من تكوين البشر، وبالتالي أصبح المعتدي والضحية هما نفسهما.

ومن أهم المخاطر التي عرفتها شعوب العالم كلها، باختلاف مواقعها الجغرافية أو توجهاتها الفكرية أو حتى دياناتها، هي ظاهرة الإرهاب التي أصبحت مصدر قلق يقضي مضجع الشعوب كما الدول.

ويعتبر الإرهاب خطراً محدقاً على الأمن الإنساني، سواء تعلق الأمر بالأشخاص أو المؤسسات أو الأنظمة السياسية، حيث يعمل منتهجو هذا الأسلوب العنيف، على إجبار الآخرين لقول أفكارهم بالقوة كونهم يرون أنفسهم دائماً على صواب في صنف يلغي بقية من يخالف رأيهم الخاطئ ويترجم هؤلاء أفكارهم العنيفة بتصرفات عدوانية، تفودهم إلى التفكير المتواصل في تدمير الكون(حلمي، دون سنة، ص21)، بسبب قناعاتهم المطلقة أنهم على صواب مطلق.

2- السياق التاريخي لظاهرة الإرهاب

بعد أن أضحت الإرهاب ظاهرة عالمية، أصبح هناك أكثر من ضرورة لدراستها وتبسيط الضوء عليها، وعلى منفي هذه الممارسات العنيفة، فمنذ أحداث تفجيرات 11 من أيلول تنادت الأصوات لحصد هذه الظاهرة وتطويرها قبل أن تتعدى حدود الجغرافيا العالمية.

لكن تلك المحاولات باءت كلها بالفشل، فلم تسلم أي دولة من آثار هذا العمل العنيف، ويقر الكثير من المختصين في هذا المجال أن التطرف الحاصل والعنف الممارس على الأفراد كما المؤسسات، لا يعود لحقبة تاريخية دون الأخرى، وإنما يعود إلى ثقافة الإنسان ذاته ونمط نشأة هذه الثقافة التي تميل بصاحبها إلى حب السيطرة وزجر الناس وتخويفهم، بغية الحصول على موالاتهم الفكرية، حتى وإن تطلب الأمر قتلهم وانتهاك حرمتهم، وهنا يصبح "مبدأ الروح مقابل الفكرة" وهذا ما يعتبره الكثيرون أقصى درجات العنف والتطرف المفضي إلى القتل وإزهاق النفس.

وعند تفحصنا لتاريخ البشرية نلاحظ أن الإرهاب والترويع لازم الإنسان منذ بداية وجوده، حيث قتل قابيل هابيل بسبب تعارض المصالح بينهما، وعندما فشل القاتل في إقناع المقتول بنزع حقه، قضى عليه وتوالت سلسلة الانتهاكات إلى غاية ظهور الإمبراطوريات العظمى التي أسست أعمدة حضاراتها على ترويع الرعية وتخويفهم، واستعملت في ذلك الإرهاب الكنيسة لخدمة أغراضها السياسية، ولتلخيص السيرورة التاريخية لظهور العنف كسلوك يهدف لتحقيق المصالح الذاتية بحب التوقف عبر المراحل التالية:

2-1- العصر الفرعوني:

أثبتت الدراسات والحفريات القديمة أن هذا العهد امتاز بالتطرف المطلق، حيث قام الفرعنة بتهجير الرعية وقتيلهم، بل تعدى الأمر إلى قتل كل طفل يولد، خشية استيلاء هذا الأخير، على ملكه، وذلك بسبب نبوءة تلقاها تفيده بأن هناك مولود سيقضى على ملكه هذا من جهة، من جهة

ثانية امتد الصراع بين الطبقة الحاكمة وبين كهنة المعابد من أجل الدفاع عن أفكار آلهتهم التي ينطقون بها على أسنتهم.

وعمد كلا من الطرفين على إرهاب الطرف الثاني لتحقيق المصالح وإرجاع الطرف الغالب، ولا يتسنى لهم ذلك إلا باستعمال أقصى الأساليب الترويعية، ومن ينجح في هذه الأساليب تكون له الغلبة في تغليب الكفة لصالحه.

ويتضح مما سبق أن العصر الفرعوني كان حافلا بالأعمال الإرهابية خاصة من طرف الحكام على المحكومين حيث يمكن أن نعطي الحكم الإرهابي الذي هو نوع من أنواع الحكم الذي يقوم على الإرهاب والترويع لانصياع المحكومين وإحكام السيطرة عليه (ظاهر، 1999، ص11).

2-2 العصر الروماني:

عرف العنف والإرهاب في هذه الحقبة التاريخية منعرجا هاما وخطيرا، حيث قنتت عمليات القتل والتعذيب وصارت تمارس باسم القانون وباسم الشعب، وقد فتح اسكندر المقدوني الشرق الأدنى لضم هذه المقاطعات إلى سيطرة الإمبراطورية الرومانية، فأقام حربا توسيعية بدون قوانين تضبطها، طبعا غير قانون التنكيل والتعذيب باسم حق الإمبراطورية الرومانية في توسيع أراضيها.

استعمل الرومانيون حينها التعذيب العلني في الملاعب والساحات العامة بحضور جمع غفير من المتفرجين واستند الكثير من هؤلاء بمتعة التنكيل بالمحكوم عليهم، ويعود سبب انتهاج سياسة التعذيب العلني إلى:

- بعث الرعب والخوف المطلق في نفوس المشاهدين، في صورة من صور الترهيب النفسي والجسدي، بالإضافة إلى تنبيههم بخطورة ارتكاب أي جرم قد يخالف قانون الدولة حينها؛
- وصم الضحية وإنزاله إلى مستوى الحيوانية وذلك من خلال عمليات التعذيب المهينة الممارسة ضده، وقد لجأ الرومانيون حينها إلى تسليط الوحوش ضد المخالفين لقوانين النظام.

والجدير بالذكر أنه في بداية القرن الأول الميلادي ظهرت بعض المجموعات الإرهابية استهدفت الإطاحة بنظام الدولة حينها، وقد نشأت سنة (66م-77م) حركة إرهابية قوامها مجموعة من الشباب كانت تطلق على نفسها "Le Zeltes" واستمدت هذه الحركة الإرهاب سياسة منتهجة لتفويض أركان الدولة وذلك عند طريق ضرب منشأتها، وإلحاق الدمار بكل مؤسسات الإمبراطورية (حمودة، 2006، ص21).

3-2 في القرون الوسطى:

تطور العنف في هذه المرحلة مقارنة بما كان عليه سابقا حيث كان أمرا الإقطاع يستخدمونه كوسيلة لإرغام العبيد على العمل في مقاطعة تهم ومزارعهم حيث كان العبيد يعاقبون بأشنع العقوبات كتعليقهم لفترات طويلة تحت أشعة الشمس أو سلخهم أو فقع أعينهم.

وبوجه عام انتقل الإرهاب من مفهومه التقليدي وهو القتل والترويع، ليتحول إلى أساليب أكثر حداثة وتطور حيث أصبح للإرهاب معنى مالي أو اقتصادي، كالتهرب الضريبي ومصادرة الأموال وتقديم الرشاوي والاستحواذ على ممتلكات الآخرين تحت مسميات عدة كالتأميم، ومصادرة الأنظمة المالية... إلخ (صدقي، 1996، ص15).

4-2 العنف في القرن العشرين:

شهد العالم في هذا القرن أنماطا كثيرة وتصنيفات متعددة للإرهاب حيث أقرت الأمم المتحدة ما يقارب 2500 منظمة إرهابية في العديد من الدول العربية والغربية، وأصبح العنف في هذه المرحلة يتميز بصفة التحكيم المنظم بسبب الثورة التكنولوجية العالية التي عرفها العالم الغربي. ويبدأ الحديث عن العنف في هذا العصر من الثورة البلشفية سنة 1917، وقد كتب لسين بوما: " نحن مبدئيا لم نرفض الإرهاب أبدا، ولا يمكننا رفضه، لأنه وجه من وجوه الحرب ووسيلة قائمة بذاتها للهجوم" (الغنام، 1992، ص ص 99-101).

ثم جاء من بعده ستالين في أواخر النصف الأول من القرن العشرين، وأرسى دعائم العنف السياسي، وأوضح مفهومه بأنه مرتبط بالعنف الثوري المنظم الذي يهدف لتصفية العدو كونه مجرما لا بد من عقابه، ويشير ستالين هنا إلى النظام الرأسمالي الذي يحمل مبادئ تتنافى وأخلاق النظام الاشتراكي، وقد انتشر الفكر الستاليني في العديد من الدول الأوروبية والأسبوية حيث تبنت هذا الفكر المتطرف الحركة الإيرلندية، التي ما لبثت أن طالبت بحقها في الاستقلال السياسي عن بريطانيا، وتعد منظمة الجيش الإيرلندي ومنظمة التحرير الإيرلندية من أشهر المنظمات الإرهابية الناشطة بالعالم، أما في إيطاليا فقد كثفت منظمة الألوية الحمراء من نشاطها المسالم. إذ عملت على قلب السلطة واستبدالها بنظام سياسي يتبنى الفكر الشيوعي، وانطلاقا من إيمانها المطلق بضرورة التغيير سعت هذه الألوية إلى إحداث الفوضى في إيطاليا من خلال تسخير أهم المؤسسات الرسمية (السياسية والاقتصادية...)، كما قامت بجملة من الاغتيالات لرؤوس النظام السياسي.

أما في ألمانيا فقد أنشأت منظمة "بادر مانهوف" جماعة الجيش الأحمر التي قامت بعمليات تخريب واسعة طالبت عمليات إحراق للمساكن والمتاجر والبنى التحتية في عملها من أجل إرباك الدولة وإضعافها للمطالب المقترحة.

وفي اليابان عملت منظمة الجيش الأحمر على تبني العمل المسالم لطرد القوات الأمريكية من أراضيها، وضمت هذه المنظمة خيرة الشباب الياباني من مثقفين وطلبة جامعات آمنوا بضرورة رفض التواجد الأمريكي بكل أشكاله، ويطول الحديث عن ذكر الكثير من هذه التنظيمات الإرهابية المتطرفة التي عملت على تحقيق برامجها وأهدافها المسطرة انطلاقا من استعمال العنف المطلق كوسيلة أكيدة لأحداث التغيير السريع.

3 - الحشاشون كأشهر الحركات الإرهابية في العهد الإسلامي

الحشاشون هي طائفة إسماعيلية انفصلت عن الدولة الفاطمية في أواخر القرن الخامس هجري، ودعت إلى إمامة نزار المصطفى لدين الله، وأحقيته في الحكم هو ونسله، استقرت هذه الحركة في بداية نشأتها في بلاد فارس وفي بلاد الشام، واستعانت هذه المنظمة المتطرفة بالجبال والتضاريس الصعبة للتحصين ونشر دعوتها، وكانت هذه الفرقة المتطرفة تأخذ من القتل والاعتقال الوسيلة الوحيدة لتحقيق الهدف مما أكسبها عدا كبيرا من الخلافة العباسية والفاطمية.

اعتمدت حركة الحشاشين في نشاطها على نمط جديد من الحروب لم يكن معروفا في العصور الوسطى، وتمثلت هذه الإستراتيجية في الاغتيال الانتقائي للشخصيات البارزة في الجهات المعادية سواء تعلق الأمر بشخصيات المملكة الفاطمية أو الدولة العباسية، وذلك عوضا عن دخولها في حروب تقليدية تواجه من خلالها الجيوش، بسبب نقص عدتها وعتادها، ولهذا السبب أسس حسن الصباح فرقة متكونة من أكثر الأشخاص إخلاصا للعقيدة الإسماعيلية وسماها بفرقة الفدائيين، وكان هؤلاء مدربين بشكل احترافي من الفروسية والقتل والتنكيل بالعدو، وكان أكثر ما يميز هؤلاء

هو استعدادهم للموت في سبيل تحقيق هدفهم، وكان على الفدائيين الاندماج في جيش الخصم والبلاط الحاكم كي تمكنوا من الوصول إلى البلاط والتقرب بذلك إلى محيط الشخصيات المراد اغتيالهم.

لإثارة الرعب بينهم وطيلة ثلاث قرون نفذ الفدائيون اغتيالات كثيرة ضد الأعداء المدنيين والسياسيين فكانت تشن هذه الهجمات على مرأى ومسمع العامة من الناس، ونادرا ما كان ينجو هؤلاء القتلة حيث كانوا يعمدون للانتحار بعد تنفيذ مهامهم حتى لا يسقطوا في أيدي أعدائهم، وانتهج بذلك الإسماعليون سياسية دفاعية وهجومية في نفس الوقت حيث كان يسدون أهدافهم على حين غفلة ثم يترجعون إلى معقلهم فوق قمم الجبال، مما يجعلها ملاذا آمنا في مواجهة أي غزو خارجي.

وعرفت نهاية هذه الطائفة على يد المغول بقيادة هولاكو في مارس سنة 1256 بعد معركة كبيرة قام بها الجيش المغولي.

وعلى الرغم مما أثير عنهم، أنهم كانوا يستهلكون الحشيش أثناء تأدية مهامهم القتالية، إلا أن ذلك يوثق في مرجعية تاريخية سواء كانت مساندة لهم أو معارضة، وتبقى الحقيقة أن لا توجد أي نصوص تشهد بالاستعمال الفعلي للحشيش من قبل النزاريين. ولكن تبقى هناك آراء حول الأصل الاشتقاقي للكلمة منها:

- أساسان (Assassins): أي القتلة، وهذا اللفظ كان يطلقه الفينيقيون على الفرق الإسماعيلية التي كانت تغير على معقلهم.

- حساسان: نسبة إلى شيخ الجبل " الحسن بن الصباح" مؤسس فرقة الموت حينها. ومع بداية النصف الثاني من القرن الثاني عشر بدأت التحويرات العربية لمصطلح الحشاشين تلتقط وتنتقل من بلاد الشام إلى مسماع الفرنسيين فتكونت بعد هذه التحويرات عدد من المصطلحات: Assissini /Assassin وتداولت هذه المصطلحات على الرغم من الاختلاف في النطق، وترسخت في المخيال العربي، باسم طائفة الحشاشين فظن الكثير من الدارسين أن التسمية تعود إلى الاستهلاك الدائم لمادة الحشيش في حين أثبت المصادر التاريخية أن هذه المادة لم تستعمل يوم من طرف أعضاء فرق الموت التي أسسها الحسن من الصباح.

4- الفهم الخاطى للمفاهيم الدينية

يميل الكثير من الشباب إلى الدين هروبا من الواقع الاجتماعي الذي يعيشونه فيحاولون البحث عن الأمن من خلال القيم المثالية والعادلة التي يحملها دينهم، لكنهم لا يلبثوا أن يستيقظوا في مناهات التطرف والعنف، بسبب جهلهم التام بالتفسير العملي لمحمل الآيات القرآنية والأحاديث الدينية... فيحاولون تغيير محيطهم الاجتماعي لتحقيق وضع آخر يتسم بالعدل والمساواة والطمأنينة، لكنهم بالمقابل لا يملكون الوسائل العقلانية لتحقيق التغيير وبين الرغبة في التغيير والواقع المراد تغييره يلج الكثير من الشباب في مناهات التطرف والعنف والإرهاب.

5 - أسباب الإرهاب

إنه الفهم الصحيح لأي ظاهرة لا يكون إلا بإخراجها عند سياقها اللفظي وتفتيتها بعيدا عن كل توجه إيديولوجي معين، فتصنيف الإرهاب على أنه عمل ديني أو سياسي أو اجتماعي هو ضرب من ضروب الانحياز لحكم وإطار معين يلزم صانعيه بالانطلاق من مبادئ معينة دون الأخرى، وهذا لا يخدم البتة الحيادية في الدراسات الموضوعية.

فالظاهرة الإرهابية هي سلوك إجرامي يمس بأمن الأفراد وبممتلكاتهم بغض النظر عن دينهم أو توجهاتهم الفكرية أو حتى إلى ثقافة معينة أو حضارة دون الأخرى، فأى مقارنة عنصرية لهاته الظاهرة تزيدها غموضاً ولا تدفع بإيجاد الحلول المناسبة لها.

وللوصول إلى التفسير الموضوعي لهذا السلوك السلبي، علينا أولاً معرفة الأسباب الرئيسية لظاهرة الإرهاب والتي هي كالآتي:

5-1- الأسباب السياسية:

- يعتبر العمل السياسي بكل أطيافه وبكل مستوياته الرسمية وغير الرسمية محاولة إقناع مجتمع ما، أو شريحة معينة بصواب الخطاب الملقى، سواء كان هذا الخطاب لفظي أو سلوكي، ويعتبر الإقناع هو الوسيلة الوحيدة لممارسة السلوك السياسي إذ يقوم بطبيعته على احترام حرية الفرد في اختيار قراراته غير أن الفشل في الإقناع بسبب قصور محتوى الخطاب الملقى أو بسبب انعدام بيئة اجتماعية سليمة، سيؤدي لا محالة لانتهاج العنف كقناة وحيدة لتمرير محتوى هذا الخطاب، في محاولة لفرض هذا الموقف بالترويع والترهيب وتكمن الخطورة الكبرى في تحويل مسار الخطاب الملقى في محاولة إحداث الضرر المادي والمعنوي في الجماعة الراضية لمحتوى الخطاب.

- إصدار النصوص الدستورية التي تركز عليها الكثير من الحكومات لتغليب مصالح جماعة معينة دون الأخرى، وتصل ديكتاتورية هذه النصوص إلى حد عزل شرائح مهمة في المجتمع، فقط لأنها تحاول المطالبة بحقوقها التي يكفلها لها القانون والدستور.

- تدني المشاركة السياسية لجميع الفئات الاجتماعية وعلى رأسها فئة الشباب حيث تعمل بعض الأنظمة السياسية على تهيمش هاته الشريحة المهمة من المجتمع فتعزله عن ممارسة حقوقه التي يضمنها له الدستور. (محمد الهوارى) فشباب اليوم بعيد عن الممارسة السياسية الفعلية التي تضمن له القدرة الكاملة على إبداء آرائه ومواقفه تجاه القضايا المصيرية التي تخصه كمواطن، أو القضايا الوطنية. هذا التهيمش المفتعل لبعض الدوائر الحكومية يولد لدى الشباب نوع من اللانتماء للرقعة الجغرافية التي يعيش عليها، هذا الشعور السلبي يسهل من عمليات الاستقطاب المتكررة للجماعات الناقمة على الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للبلاد، وبالتالي فإن تغيب الشرائح الشبانة عن مصادر القرار يدفع بهم إلى اتخاذ السلوك العنيف كمبدأ لأحداث التغيير، هذه السلوكات التي تبدأ بالتمرد وعدم الانصياع للقوانين الداخلية، ثم تنتهي بإحداث الأضرار لجميع المعالم والرموز التي تمثل النظام بشقيه الرسمي وغير الرسمي، وهنا تتضمن السلوكات العنيفة وترتسم على شكل أحداث إرهابية تطيح باستقرار المجتمعات وأمنها.

- غياب التعددية السياسية ومبدأ التداول على الحكم، والافتقار إلى مناهج ومشاريع تدعم حرية الفرد والمؤسسات على إبداء آرائهم اتجاه ما يحصل في البلاد، بالإضافة على عدم وجود تداول حقيقي للسلطة، مما يؤدي إلى حرمان القوى السياسية والاجتماعية من التعبير السياسي الشرعي.

- التجاهل المتعمد لحقوق الأقليات، هذه السياسات التعسفية الممارسة ضد الأقليات في كل المجتمعات يؤدي إلى انتفاضة هذه الأخيرة ومحاولة استرداد مكانتها الاجتماعية المهضومة بقوة السلاح، وكثيراً ما انتهجت هذه الأقليات العنف كقناة وحيدة لتمرير مطالبها القاضية بالاستقلال عن الحكم المركزي.

2-5- الأسباب الاقتصادية:

يعتبر الجانب المادي في حياة الإنسان أمراً مهماً، فكلما كان دخل الفرد مرتفعاً يفي بمتطلباته ومتطلبات أسرته، كلما كان راضياً عن واقعه الاجتماعي بل سيتعدى هذا الفرد مرحلة الرضا وينتقل إلى مرحلة السعي للحفاظ على تلك المكاسب المادية التي ينتفع بها، أما إذا كان الدخل منخفضاً كان الفرد عاجزاً تماماً عند قضاء متطلباته ومتطلبات أسرته، وهنا يحدث الاضطراب النفسي، عن فشله في إعالة من هم تحت مسؤوليته ومن هنا يتحول هذا الاضطراب النفسي إلى حالة اللامبالاة إلى حالة الشعور بالكرهية تجاه كل أفراد مجتمعه فيصبح دائماً النعمة، خاصة لما يرى ويشعر بالتفاوت المادي بينه وبين غيره من الطبقات الثرية، وتزداد النعمة على هذه الوضعية الاقتصادية الصعبة، عندما تنعدم الأسباب الوجيهة لوجود الفوارق، فيرى أصدقائه بسيارات فخمة ومسكن خيالية دون أن يبذلوا لوصول هدفهم أي مجهود، هذه المقارنات اليومية التي تدور بمخيلته تولد لديه حالات الشعور بالانتقام، من هنا يصبح العنف والإرهاب أسهل الطرق لإحداث العدالة واسترداد الأموال التي سلبت منه (عادة ما يفسر بعضهم أن الأموال غير المشروعة للأغنياء هي أموالهم مسلوقة).

1-2-5- فشل المشاريع التنموية:

إن فشل السياسات الاقتصادية وعدم القدرة على التجاوب مع الواقع الاجتماعي، يؤدي إلى اتساع خرائط الفقر في المجتمعات المختلفة، حيث تتكون فجوة بين الفقراء والأغنياء، وبين المالكين لرؤوس الأموال والعاملين في القطاعات الواسعة وبين الشرائح المهمشة مما يظهر على الحياة اليومية طبقتين بارزتين، طبقة فاحشة الثراء وطبقة أخرى لا تكاد تملك قوت يومها.

2-2-5- البطالة:

إن انتشار البطالة في المجتمعات خاصة لدى فئة الشباب يولد لديهم شعور بالعجز واليأس والإحباط بسبب انعدام مواردهم المادية فهم على الرغم من امتلاكهم لكل المؤهلات الصحية والنفسية والعلمية ليكونوا أصحاب مكانة اجتماعية مهمة في وسطهم اليومي، إلا أنهم يعيشونه واقعا يشبه إلى حد بعيد واقع العجزة المرضى، هذا الشعور الدائم يدفعهم لقطع صلة التواصل بينهم وبين محيطهم بالمقابل هناك مؤسسات وجماعات أخرى لها القدرة على تدعيمهم وتحقيق مكانة اجتماعية مهمة لهم فتعيد لهم ثقافتهم بأنفسهم لكن شريطة تبني مفاهيم تلك الجماعات والغلو في الانصياع لمرجعياتها الإيديولوجيا المتزامنة وأمام هذا الرهان لا يجد الشباب البطال بدأ من انتهاج العمل العنيف لتحقيق المكاسب المادية من جهة ومن جهة أخرى يعتبر هذا السلوك الإرهابي تصرفاً انتقامياً للجهات المسؤولة عن إفقار الشعوب وتجويعهم.

3-2-5- عمليات الفساد الإداري الحكومي:

تتنوع عمليات الفساد الإداري في العديد من الدول ابتداء من التضخم والكساد الاقتصادي إلى حالات الكسب غير المشروع من خلال الصفقات التي تتم بشكل غير قانوني وذلك في شكل تمرير صفقات لأشخاص ذوي مناصب حساسة دون أنهم يملكون حق الاستفادة من تلك الصفقات.

انتشار سلوك الرشوة بالمؤسسات العمومية بشكل علني ودائم: إنه انتشار ظاهرة الرشوة في المكاتب الصغيرة كما بالمؤسسات الحكومية الكبرى يولد لا محالة حالة من التشبع والتعليم العالي لدى أفراد وجماعات معينة دون الأخرى وتزداد هذه الجماعات المرتشبة غنى، في ظل انعدام سياسيات داخلية ضابطة تقوم على مبدأ " من أين لك هذا؟ " وسبب هذه السلوكات السلبية تظهر بالطبقة المقابلة شركه اجتماعيه قائمة على كم من هائل من الكبت والظلم والرفض لواقع

وممارسات المختلفة، وسرعان ما تتحول هذه الطاقة السلبية في هذه الشراخ الناقمة على عمليات عنيفة تسمى بالعمليات الإرهابية وهنا تتفهم وتختلف صور الانتقام والتعدي أسلوب الاعتداء على الممتلكات العامة وسرقه محتوياتها وتخريبها واشتراط دفع مبالغ خيالية الفدية لإطلاق سراحهم (حمادي، 2009، ص3).

3-5- الأسباب الاجتماعية:

إن التركيز على نقاط واضحة لتحديد الأسباب الاجتماعية لظاهرة الإرهاب يعتبر أمر فيه الكثير من الصعوبة وذلك لأن التفسيرات الاجتماعية تتسم بالتشعب والتوغل في أهم تفاصيل الحياة العامة للأشخاص والمؤسسات، لكن لا ندخل في متاهات نعجز لاحقا عن حصرها يجب ترتيب أهم الأسباب الاجتماعية لتفسير ظاهرة الإرهاب، وهي على النحو التالي:

- الاستمرار في تعرض الأفراد إلى سلطة القهر، قهر سلطة الوالدين أو سلطة المعلمين بالمدرسة، أو قهر سلطة أرباب العمل داخل المصانع والأصدقاء في الشارع... إلخ. هذا القهر المسلط على الأفراد أو الجماعات بخلف في نفس المفهومين نوع من القابلية الدائمة للتمرد ورفض جميع الأوامر والأنظمة التي تسلط عليه من فوق، وبالتالي تصبح تلك الجماعة كتلة منتقلة تحمل كما هائلا من الرفض والمقاومة الداخلية.

- انتشار نسب الفقر والامية والجهل وسط شرائحه واسعة في المجتمع يدفع لا محالة إلى تبني سلوك عنيف بسبب انعدام الحد الأدنى من العيش الكريم مما يساعد على خلق جو ملائم لبروز مظاهر سلبية أولها ممارسة العنف لاسترداد الحقوق المسلوقة.

هذه الحقوق المهضومة لدى الأفراد تزيد من قابليتهم لممارسة العنف كسلوك حتمي لإثبات الحيز المكاني لتواجدهم بين الجماعات وبين الأنظمة الحاكمة لديهم، وكثيرا ما نرى عددا لا يستهان به من الشباب الغاضبين يحرق ويكسر ممتلكات الدولة كتعبير منه على غضبه من واقعه الصعب، فهو بذلك التصرف يريد سكنا وعملا مستقرا وبيئة نظيفة، ومن خلال ما سبق يمكن معرفة ما هي العوامل الرئيسة لتبني العنف كأسلوب حتمي للتغيير الاجتماعي والأدهى والأمر إن بعض الأنظمة السياسية وعلى رأسها الأنظمة العربية تدفع بتقنين هذه الممارسات من خلال الرضوخ لمطالب المحتجين وإطباق الصمت على الفئات الاجتماعية الأخرى المحرومة التي تعمل بصمت وبعيد لتحقيق الحد الأدنى من العيش.

6- الوسائل المستعملة في العمليات الإرهابية

1-6- الاغتيالات:

تستهدف هذه الوسيلة رؤوس النظام عادة أو الشخصيات السياسية الحاكمة، أو تلك التي تشغل مناصب في المجتمع حيث يظن المستهدفون لهاته الشخصيات المهمة أنهم قد قطعوا نصف المرحلة لتحقيق أهدافهم المرجوة فباقصاء القادة يستطيعون شل جميع المنصوين تحته وبالتالي اغتيال شخصية مهمة - طبعا في ظنهم - هو تدمير للعقل المدبر.

وتعتبر ظاهرة الاغتيال من أقدم الوسائل المستعملة، حيث برزت بعد اغتيال جوبليس قيصر ميدان كوري بورما واغتيال هندي الرابع وسادي كورنو واغتيال إبراهيم لنكولن سنة 1865 ثم اغتيال الأمير رودلف ولي عهد النمسا اغتياله هذا كان السبب الرئيسي في اشتعال الحرب العالمية الأولى (محمود داود يعقوب، 2011، ص450).

وانتقلت هذه العمليات إلى الوطن العربي فاغتيل أنور السادات بمصر والرئيس الجزائري محمد بوضياف واستمرت هذه التصفيات الجسدية إلى يومنا هذا.

وعادة ما تتم عمليات الاغتيال عبر تخطيط مسبق ودقيق، ويتسم بالبساطة أو التعقيد حسب طبيعة الشخص المراد اغتياله، فتنوعت هذه الأساليب بين الطعن بالخنجر كما حدث لعمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وكانت هذه الطرق منتشرة بسبب انعدام حماية محكمة وفعالة للقادة والرؤساء لكن بعد تطور مفهوم الدولة وظهور وزارات وهيئات مختصة بتوفير الحماية والأمن صار أسلوب الطعن والتصفية المباشرة أسلوبا رائدا ومع ازدياد هذه الحماية للشخصيات المهمة صارت طرق الاغتيال أكثر تعقيدا بسبب صعوبة الوصول إلى الشخص المراد تصفيته، ثم ما لبثت أن انتشرت ظاهرة التسميم بالأدوية أو أثناء التعاملات اليومية، كما يشاع حديثا عن تسميم الرئيس الفلسطيني الراحل حاسم عرفات، واغتيال ملك السويد أريك السادس.

ومع اختراع الأسلحة النارية أصبح الطوق الأمني البشري غير كافي فأصبح بمقدور منفذ العملية استهداف أي شخص من بعيد ثم الفرار بكل سهولة.

2-6- الخطف واحتجاز الرهائن:

تتعدد أساليب الاختطاف لدى الإرهابيين وتتنوع بين اختطاف الأشخاص وتحويل مركبات النقل عن وجهتها، فاختطاف الطائرات مثلا يكون عن طريق تحويل وجهة الطائرة عنوة إلى دول صديقة أو مواتية وذلك بعد الاستيلاء على طاقم الطائرة، وتهديده بالقتل في حال رفض تغيير مسار المركبة.

أما اختطاف الأفراد فهو أقل سهولة مقارنة بالنوع الأول، وذلك لسهولة تحويل المختطفين والتخطف عليهم في أماكن سرية، ويسمى عادة هذا النوع من الاختطاف " القرصنة" ويرصد التاريخ حالات اختطاف شهيرة لأفراد كما للطائرات، ومثال على ذلك إقدام فرنسا على تحويل طائرة مدنية ترفع العلم المغربي على متنها خمسة من قادة الثورة الجزائرية، كانوا متجهين على عاصمة المغرب لدعم القضية الجزائرية وتكررت أحداث مماثلة على مر التاريخ وقد تعدت عمليات القرصنة المجال الجوي، لتمتد بحرا، إذ تم اختطاف السفن كما حدث من عمليات القرصنة لبحر العرب، وعلى الرغم من تعدد أشكال الاختطاف ومجالاته، إلا أن الهدف الوحيد لهذا الأسلوب الإرهابي هو الاتيزاز أو الحصول على مطالب معينة، كالحصول على الفدية مثلا يقوم إرهابيو داعش أو النصرة أو القاعدة في عصرنا الحالي.

3-6- التفجيرات:

يعتبر هذا النوع من أخطر الأساليب التي يتبناها الإرهابيون وذلك لفداحة الخسائر الناجمة عند كل تفجير إرهابي، وغالبا ما يستخدم هؤلاء مواد شديدة الانفجار مثل الديناميك والسيפור وغيرها من المواد المركبة في صناعة القنابل حيث تختلف هذه الأخيرة عن بعضها حيث يوجد قنابل بدائية الصنع يستعمل فيها متفجرات بسيطة عادة تكون مركبة وموصولة بأسلاك كهربائية يتم تفجيرها عن بعد عن طريق الهواتف النقالة، أو تكون قنابل شديدة المفعول في الغالب تستعمل فيها كميات ضخمة من مادة TNT.

ويتميز هذا الأسلوب عند باقي الأساليب الإرهابية كونه ذو صدى إعلامي واسع إذ يستحيل على الأنظمة المستهدفة مداراة الحدث بسبب قدرته العالية في جذب الانتباه من قبل الجماهير ووسائل الإعلام، وبذلك تتحقق الغاية المرجوة للإرهابيين والمتمثلة في الأهداف التالية:
- إحداث الفوضى والبلبلة في الأوساط الشعبية؛

- شد الانتباه للقضية المطروحة؛
- التهديد للأنظمة المستهدفة؛
- المساومة والابتزاز؛
- إحداث أكبر خسائر مادية وبشرية ممكنة للطرف المستهدف؛
- الانسحاب التكتيكي للإرهابيين بعد إنهاء مهامهم التفجيرية، عكس عمليات القرصنة التي يكون فيها الخاطف في مواجهة الخصم.

4-6- عمليات التخريب:

تطورت هذه العمليات بتطور التكنولوجيا وأساليبها في أعمال الحرق وإشعال المواد الحارقة لتخريب المنشآت وتعطيل وسائل النقل ومحطاتها كمحطات القطار ومحطات المينرو والكثير من المنشآت الحكومية، ويعد هذا النوع من العمليات أكثر العمليات انتشارا في العالم.

وقد تغيرت الأهداف الرئيسية للعمليات التخريبية، ففي كل مرحلة زمنية سطرت أهداف تتواءم مع النظام القائم، فقد تحولت عمليات التخريب في الستينات من عمليات هدفها بث الذعر والتخويف إلى عمليات تهدف التدمير الكامل وإيقاع الخسائر الكبيرة بقصد التأثير على القرار السياسي للحكومات مثل عمليات التخريب التي قامت به منظمة الدرب المضني في البيرو في الفترة الممتدة من سنة 1980-1995 وأدت إلى خسائر قدرت بنحو 25 مليار دولار (يعقوب، 2011، ص461)، وغيرها من العمليات التخريبية منذ حولت مسار أهدافها منذ كونها ذات بعد تخريبي ظرفي إلى عمليات منهكة للخصم ومتضعفة إلى مداركة النفسية، إذا يعمل هذا النوع من التخريب على إدخال الطرف المستهدف إلى حالة من التوجس والخيفة وذلك مثلما حدث في أمريكا بعد تدمير البرصيين في 11 سبتمبر، وبعدها تم استخدام الجمره الخبيثة.

7- الفرق بين المقاومة والإرهاب

يجمع الكثير من المختصين في مجالات مكافحة الإرهاب وحتى عامة الناس على أن ظاهرة الإرهاب سلوك إنساني غير شرعي، كونه يهدد أمن الأفراد وعليه تلقى جميع العمليات الإرهابية استنكارا واسها بسبب فداحة الخسائر الناجمة عنه.

- وقد تتعد هذه الأعمال المسلحة وتتطور أهدافها ويزيد صداها عندما يصبح ذات طابع دولي، حيث صنف المختصون على أنه صنف من أصناف الجريمة الدولية التي تحتوي في مفهومها كل نشاط إيجابي أو سلبي ينتهك الأصول الأساسية للمحافظة على النظام الدولي، أو أنها كل تصرف أو نشاط يؤدي إلى اضطراب في النظام الدولي العام" (صدقي، 1996، ص65).

ويتصف العمل بالطابع الدولي إذا اختلفت جنسية المرتكبين للفعل أو الضحايا، أو تعددت أماكن إعداد الفعل، أو تكون ضحية العمل الإرهابي متمتعة بحماية دولية، كالسفارات والقنصليات والأعوان الدبلوماسيين (Salhi, 1987., p. 23). وقوات حفظ السلام المتمركزة في أماكن مختلفة في العالم.

على الرغم من ثبات بعض المصطلحات التي تحدد مفهوم الإرهاب على اعتباره سلوك عنيف ورغم تحقيق الإجماع في الكثير من المحافل الدولية حول طبيعة هذه العمليات وأهدافها إلا أن هناك إشكالية مهمة تعيق مسار توحيد الرؤية العالمية حول الظاهرة وذلك من خلال الاختلاف الرئيسي والجوهري بنية تحديد الفرق بين الإرهاب والمقاومة المسلحة.

هنا تمكين طرح التساؤل كيف ومتى تعرف بنية العمليات الإرهابية وعمليات الدفاع عن الأراضي وحماية الحدود الوطنية؟

إن منطلق التمييز بين المقاومة والإرهاب هو تحديد المقصود بالعنف المشروع في مقابل العنف غير المشروع، وأثر هذه الشرعية، ومن له صلاحية امتلاك الحق في اللجوء إلى العنف كوسيلة دفاعية أو هجومية لتحقيق المصلحة العامة للطرف المستعمل للعنف، وغالبا ما يعبر عن الإشكالية التمييز بين أعمال المقاومة والإرهاب بأن الإرهابي في نظر البعض هو مقاتل من أجل الحرية بنظر البعض الآخر، وبمقتضى هذه المقولة تعرف الأعمال بدوافعها، فأعمال المقاومة المسلحة لأجل تقرير المصير والاستقلال لا يمكن بحال من الأحوال أن تعتبر من قبيل الإرهاب طالما أن الدافع إليها حق مقرر في القانون الدولي وتقرير المصير(سرحال والمحدوب، 2009، ص89). ومن خلال ما ورد يمكن معرفة غياب واضح الإجماع الدولي حول مفهوم الإرهاب خاصة فيما يتعلق بالتمييز بينه وبين حق الدفاع عن النفس، وقد تداخلت هذه المفاهيم وتعاضت فيما بينها بتعارض المنطق الإيديولوجي والسياسي لجهة التعريف مما أبرز عجزا واضحا في وضع مفاهيم وتعريف ثابتة للظاهرة، مما دفع ببعض الهيئات الرسمية والمنظمات الدولية إلى التقنين الجزئي لبعض الممارسات العنيفة التي تكسى صيغة دولية، كالقرصنة واختطاف الطائرات أو استعمال مواد مشعلة وخطيرة أو غيرها من المنتجات العدائية السامة.

وفي الأخير يمكن القول أن كلمة " الإرهاب " لم تضبط بعد كونها مازالت تترنح بين كونها ممارسات مشروعة أو غير مشروعة، فاختلاف المصالح بين الدول صعب من إيجاد صيغ نهائية كما أن موازين القوى تلعب دور مهما في تحديد الشرعية لأي عمل عنيف، فامتلاك الدولة الإيرانية للأسلحة النووية يعتبر إرهابا يهدد أمن وسلامة المنطقة في حين امتلاك نفس السلام من طرف الكيان الصهيوني تعتبره الكثير من الدول الغربية حق مشروع تستلزمه الأوضاع الراهنة، فامتلاكها للسلاح خو حق مشروع أقره القانون للدول والهيئات والمنظمات العالمية.

- خاتمة

إن الإرهاب هو سلوك فردي قبل أن يتحول إلى ممارسة جماعية، وقبل البحث عن مشروعية الظاهرة أو عدم مشروعيته يجب التركيز عن دوافع وأسباب بروزها وانتشارها، وبغض النظر عن حق كل فرد في انتهاج السلوك العنيف، يجب أولا تحقيق العدل وأصدقاء السلام بعيدا عن كل سطو أو سيطرة، واستعمار فوضوح زاوية الرؤية عن الجميع يؤدي إلى تراجع الكل إلى مواطنهم الأصلية، دون البحث عن انتهاج أساليب عنيفة لتسوية الخلافات القائمة كون أن القوانين الدولية تكفل حقوق الدول والأفراد، دون اللجوء إلى الضغط والاستثمار.

أما إذا غابت المواثيق الدولية وضمنت الهيئات الرسمية عند بعض التجاوزات التي تمارسها الدول تجاه بعضها البعض فهنا يمكن القول أن لغة العنف هي السبيل الوحيد لاسترجاع الحقوق المسلوبة، ومن هنا تظهر نقاط الاختلاف بين الإرهاب والدفاع عن الحقوق، بسبب غياب الحقوق واتساع رقعة تحت مسميات دولية عدة تبيح الحق فيه استلاب القوى وهضم حقوقها المشروعة.

- قائمة المراجع

- نبيل، أحمد حلمي. (دون سنة). الإرهاب الدولي وفق قواعد القانون الدولي العام، القاهرة: دار النهضة العربية.
- تركي، ظاهر. (1999). الإرهاب العالمي: إرهاب الدول، دول وعمليات الإرهاب، بيروت: دار الحسم.
- منتصر سعيد، حمودة. (2006). الإرهاب الدولي جوانبه القانونية، الإسكندرية: الجامعة الجديدة.
- عبد الرحيم، صدقي. (1996). القانون الجنائي الدولي، نحو تنظيم جنائي عالمي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- محمد، الغنام. (1992). الإرهاب افي الديمقراطيات الغربية، مجلة السياسة الدولية، العدد 107، مصر، القاهرة، ص ص 99-101.
- عبد الرحمان، حمادي. (2009). الإرهاب وأسبابه وطرق مكافحته، جريدة الفجر، 3.
- محمود داود، يعقوب. (2011). المفهوم القانوني للإرهاب، تونس: منشورات زين الحقوقية.
- Salhi. (1987). *l'organisation des notions unis et le probleme de terrorismes*. tunis.: .F.D.S .P.
- محمد، سرحال، وأحمد، المحدوب. (2009). الإرهاب الدولي، لبنان: منشورات الحلبي الحقوقية.